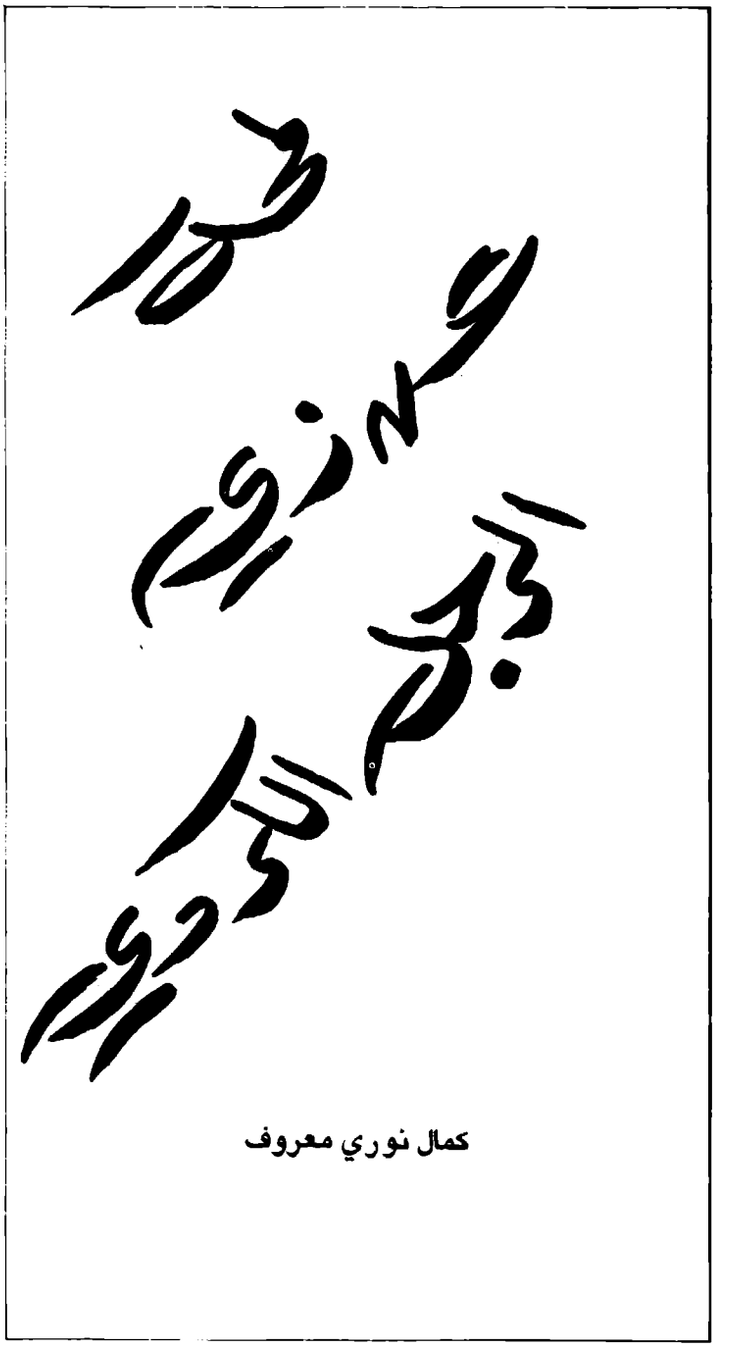

كمال نوري معروف

لكل امة زيها الخاص الذي تفتخر به وتتفنن في تصميمه وتلوينه وزخرفته بما يتلاءم وذوقها الرفيع. وقد أثار الزي الكردي أعجاب الرحالة دائماً بانماطه والوانه الزاهية. ها هو ديكسون يقول : «ويرتدي اكراد الهضبة الارمنية ثوباً ضيقاً ذا أكمام فضفاضة مشدوداً عند الساقين، ويحتذي جزمة، ولا يكاد الكردي ينزل عن صهوة جواده، وهو مسلح دائما بالبندقية وحزام الخرطوش والخنجر». وكان السلطان عبدالحميد قد جند حرسه الخاص (الحميدية) من هؤلاء الاكراد، مقلداً في ذلك القوقاز الروس. وكأن الازياء الكردية مثلها مثل السكن، فهي وليدة عدة عوامل مناخية وطوبوغرافية طبيعية. ورغم تنوع الملابس في الاقاليم الكردية فأنها لا تصل الى حد الاختلاف الجذري في نوعيتها، في البيئات المختلفة. والتنوع في الملابس ان وجد في أي محيط اجتماعي دليل على تقدمه. يقول العلامة نيقولا الحداد : (كلما تقدمت الهيئة الاجتماعية او جماعة أو مجتمع كثر تنويع الازياء والامر بالعكس). وهذه العبارة ينطبق على موضوع الازياء الكردية، ففي الازمنة القديمة لم تكن هنالك فوارق في نوع الملبس بين الحاكم وعامة الشعب في الزي وغيره من مظاهر الحياة بين ابناء الشعب الكردي. وقد اثار كثير من العلماء والكتاب الاجانب في مقالاتهم وبحوثهم الموضوع لدى مقارنتهم الازياء الكردية القديمة مع غيرها من أزياء الشعوب، وثبتت لديهم بان نوعية الملابس الكردية تدل على انها حصيلة حضارة موغلة في القدم، وخير دليل على ذلك ما نشاهده على اثار منحوتة (سەرپەلزەهاو) و (هورين وشيخان) و (قزقبان)، واثار اخرى عديدة في اماكن متفرقة من كردستان. يتألف زي الرجل الكردي من عدد من القطع وهذه القطع هي:

1 ـ (پێلاو) (حذاء) وتوجد عدة انواع من الحذاء الكردي، وهو اما أن يكون (كەوش) وهو حذاء جلدي لا كعب له، مقدمته مرتفعة عند الاصبع ومؤخرته مدببة، واما ان يكون (كلاش) ويتألف من خرق القماش المضغوط ووجه من خيوط القطن المنسوج. أو (كاله) وهي مصنوعة من قطعة واحدة من جلد الثور غير مخيطة، موائمة للقدم، ومزينه في الاعلى بصوف أو حرير ملون، وعلى جانبي الكعب ثقوب، منها يمكن شد النعل بالقدم وذلك بواسطة حبل من صوف سميك. ان هذه (الكاله) تستخدم في اصقاع التلال. وهذا الحذاء من الاحذية الشتوية يحتذيه الكردي في فصل الشتاء، وقت نزول الثلج وخروجه للصيد ويرتدي بعض شباب اغوات قبيلة (دزەیی) احذية ركوب طويلة. يلي الحذاء (گوڕەوی پوزەوانە) أو (گوڕەوی لاسك دریژ) أي الجوارب الطويلة، حسنة الصنع، منسوجة من صوف ابيض اللون. وهذه تصل حتى الركبة. ويمكن الافادة منها لاعطاء الدفء

الى الساقين اثناء فصل البرد .

2 ـ (دەرپێ) وهو الجزء الذي لا يستغني عنه في كل زي من الازياء، وهو عبارة عن سروال من القطن الابيض، كثيرا ما يلبس وحده. ثم (بەنه خوين) وهي التكة التي تشد (دەرپێ).

3 ـ (شەروال) أو سروال، وكان يصنع قديماً من غزل يحاك في البيت، ومن الاقمشة الموجودة في الوقت الحاضر. وهذه غالباً ما تكون ذات خطوط زرقاء وتهبط حتى الرجل. وفي سهل رواندوز اختلاف يسير في هذا الملبس. فالسراويل دوات الفتحة الشبيهة بالجرس. وسراويل اهل الجنوب هي فضفافة في الاعلى وضيقة في الاسفل. ويمكن القول ان السروال مصمم لتيسير تسلق الجبال والمحافظ على دفئ القسم الاسفل من الجسد. وتسود (موضة) من الازياء في الجزء المحصور بين خط (ئەزمر ـ گلەزەردە) شمالاً حتى خط عرض مدينة رواندوز تقريباً أي اقضية السليمانية الشمالية، والجزء الاعظم من محافظة اربيل والمنطقة المجاورة لصاو جبلاق (موكري). وهي ان السروال الفضفاض من الاعلى اكثر سعة مما هو في الجنوب. وتصنع (الچوغه) و(الرانك) من غزل محلي عادة، وهي منسوجات محلية بسيطة الهندسة والتلوين، وكثيراًما يغلب عليها اللون الرمادي او الترابي، وتسمى (بازو) وهي خير المنسوجات المحلية التي يحيكها اهل زاخو منذ قديم والى وقتنا الحاضر، وهي ذات تصاميم مختلفة وجذابة بالوانها ونقوشها. وتفصل من قطعتين وعرض القماش قدم واحد، والوانها تتفاوت بين لون (البسكويت) البسيط والازرق الباهت وبين المخطط بخطوط ملونة تختلف عروضها والوانها، ونقوشها وتغلب عليها الاشكال الهندسية على طول تلك الخطوط العريضة، ولا تخلو (الچوغه) من هذه الزخارف وهي عموما اكثر ما تكون في (الرانك) وتطرز الحلة كلها باشكال ومخرمات حول الرقبة والاكمام والجيوب وحافات (الرانك) السفلي. وقد جرت العادة ان تحشر حافات (الرانك) داخل الجوارب في اثناء الرحلات وخاصة وقت تسلق الجبال، وبذلك تصبح ثابتة محكمة الحافات. ثم (سخمة) وهي سترة يلبس فوقها (الچوغه). ثم (الكرتك) أو (مراد خانى) او (ستارخانى) فأنها (كالچوغه) وهي السترة التي تصنع من منسوجات محلية قديما، واقمشة محلية واجنبية في الوقت الحاضر وهي اما قطنية او صوفية. تتقاطع في هذه الايام على المعدة وتحشر في السروال.

ويلبس فوق السترة (فەرەنجى) وهو كساء من اللباس يلبس فوق الملابس ابان الطقس القر. ولهذا الكساء اردان قصيرة، خشنة، ولما كانت الايدي لا تدخل فيها الا نادرا فأنها تبرز من المنكبين وهذا الكساء خاص بالراعي. ثم (پەستەك) وهو صدار مبطن غريب الشكل ثخين من الصوف المضغوط الى ان يغدو في صلابة الجلد وسمكه يقارب الانج وهو دافئ، يلبس فوق السترة، وهو مقام الزرد المسرود في درء طعنات الخناجر والسيوف. ويلبس عادة اثناء الحروب والنزاعات القبلية. فاذا ما الأرتدى المرء (الپەستەك) فوق كل هذه الثياب بدأ كأنه احدب الظهر من فرط ماكدس فوقه. ومما يثير الدهشة إن الكردي يرتديه حتى في اشد الايام حرارة. ثم (كراس) وهو قميص يفصل من قماش القطن الابيض عادة، ذو اكمام طويلة. ثم (فەقيافە) وهي الأردان البيضاء الطويلة التي يصنعها كل كردي وتصل الارض وتبقى محولة او ملفوفة حول المعصمين فوق اكمام السترة، أو معقودة النهايتين خلف الظهر عند القذال. ويقول دبليو، ار، هي في كتابه سنتان في كردستان ـ ص 62 مايلي:

(ولقد سألت مراتكثيرة عن السبب في طولها فأجبت انها لتمكن لابسها من ربط نهايتيها خلف رقبته، وبذلك يستطيع ان يسحب اردان سترته حتى تبلغ مرفقه، فتغدو ذراعاه حرة للعمل والاكل او الاغتسال والقتال على وفق الحاجة. وعندما لا تكون هذه الاردان مشدودة الى وراء الرقبة فأنها تلف حول الذراع فوق الرسغ عادة وتفك هذه عند اقامة الصلاة). ثم (البشتين)

وهو حزام الخصر ويكون عادة طولاً من القماش القطني الملون يبلغ طوله من 3 — 15 ياردة. وعندما يلف يشغل المساحة الكائنة بين الخصر والابطين. وهو جزء لا يتجزأ من بدلة الرجل الكردي. وتخفي بين طياته مقتنياته الثمينة ويدسون فيه خنجرا لا يفارقهم قط، قبضته من العاج أو القرن، ويبلغ طوله (16) إنجاً وهو معقوف النصل بعض الشئ. وغمده من الخشب المكسو بالجلد. ولكن قد يكون من الفضة المصبوبة أو من الذهب وهو نادر. وقد يلف حامله حوله مقبضه مسبحة ليعبث بها. وكثيرا ماتجد القرويين يدسون في (البشتين) حافة كيس تبغ ويبقىٰ معلقاً الى جنبهم ويدسون مع الخنجر غليونا طويلا ذا وعاء صغير، او يحشرونه في ظهرهم. وللحزام الكردي مزايا كثيرة اهمها تدفئة الجزء الاوسط من الجسم، كما يحافظ على استقامته اثناء التسلق. وفي السهول (گەرميان) تظهر المؤثرات العربية بشيوع ارتداء ال (كەوا) او الزبون، وهو لباس طويل ينسدل على الجسم من العنق الى الكاحلين وتلتقي حاشيتاه العموديتان من امام وتضم احداهما فوق الاخرى. وفيه من الاسفل على الجانبين شقان يبدأن من حافته حتى الركبة تقريبا ويشد الى الخصر بحزام جلدي رقيق أو (بشتين) صغير. وتعلوه (سەلته) سترة قصيرة من قماش ذي الوان ازرق، واسمر، وبني، وشكلها لا يباين وهي موشاة في الاحيان بالذهب. وفي المناسبات الرسمية تلبس العباءة العربية. وكان هذا الطراز من الزي يلبسه رجال الدين ايضا مع وضع عمامة مخروطية بيضاء على رؤسهم.

4 ـ (ميزەر) يتألف عمامة الرأس لدى الكردي من (كلاو) (تەقيله) وهي طاقية لينة أو (تەپله) وهي عبارة عن لبادة مخروطية الشكل بيضاء، يحيط بها منديل ذو لونين: أبيض وازرق، على شكل عين العصفور، يلف فوقها لفة واحدة او اثنين او ثلاثة، قطعة قماش مربعة تسمى (جامانه) او (مشكى) أو (چەفته) بحسب نوعها، ويمكن المزج بين هذه الانواع في العمامة الواحدة. يقول باسيل نيكيتين في كتابه (الاكراد ـ ص 84 — 86) بهذا الخصوص مايلي: (ويبدوا ان العمامة التي يلبسها، تكاد لامتدادها تغرق بين ثناياها الفارس والفرس الصغير الذي يمتطيه. وتبرز من بين هذه الكتلة من القماش المتعدد الالوان، قبعة مخروطية من اللباد الابيض. وتبدو المطية النحيلة بهذا الحمل وكأنها مترجرجة على وشك السقوط من الاعياء، ويتهدل على جانبيها وشاح متعدد الالوان يلامس طرفي الطريق). ان عمامة الرأس مصممة لحماية الرأس من البرد حماية كاملة. يقول ادموندز في كتابه (كرد وترك وعرب ـ ص 84 — 87) مايلي: (يصاب المرء بالحيرة لكثرة الاشكال التي يراها في اغطية الرأس. واذا كان قماش العمامة واحدا صعب على المرء ان يتحقق من طريقة شد العمامة او معرفة الناحية التي تميل اليها او المنطقة او القبيلة التي انحدر صاحبها منها). ويمكن تميز عشيرة الفرد، بل حتى ديانته من لباس رأسه. وكلما صعد المرء الى الشمال ازدادت العمامة ارتخاءاً، واضيف الى (الجامانه) (چەفته) أو (مشكى) او كلاهما. فيخرج من هذا كله عمامة واسعة. وقد تعود كثير من (بەگزاده) الجاف والشيوخ العلمانيين ووجهاء المدن أن يفعلوا ذلك، وفي (هەورامان) تشد العمامة من (مشكين) اثنين يلفان حول (كلاو) وهو غير الطاقية المألوفة، وانما مخروط قوى مصنوع من القطيفة الخضراء او القرمزية او البرتقالية ينتهي بكرة أو (تەپله) في قمته و (المشكى) المربع الشكل هو واسع بنوع خاص. والعمامة التي تتألف منه ثقيلة جدا على الرأس. ويستعمل احيانا بدل الكفيات المربعة قطعة قماش طويلة من النسيج القطني الاعتيادي المطبوع. واذا اتبعنا الزي شمالا، نرى الـ (تەپله) الصوفية تعود الى الظهور ولكن باشكال مختلفة. وابان موسم الحصاد يرتدي الناس في السهول قبعة وسيعة من لباد وهي ذات حفاف. يقول دبليو. ار. هى في كتابه (سنتان في كردستان ـ ص 60 — 62حول هذه القبعة مايلي! (... ان خصلة كبيرة من شعر المعزي تعلوها تظهر لابسها اكثر شبهاً بقاطع طريق).

المصادر

1 ـ باسيل نيكيتين ـ الاكراد ـ ص 84 — 86.

2 ـ هادي رشيد الجاوشلي ـ الحياة الاجتماعية في كردستان ـ بغداد 1970 ص 95 — 96.

3 ـ دبليو. ار. هى ـ سنتان في كردستان ـ ترجمة فؤاد جميل ـ ج ـ 1 — 1973 ـ ص 60 — 62.

4 ـ أي . إم. هاملتون ـ طريق في كردستان ـ ترجمة جرجيس فتح الله ص 109.

5 ـ الدكتور شاكر خصباك ـ الاكراد ـ دراسة جغرافية اثنوغرافية ـ 1972 ص 440 — 444.

6 ـ سى. جى. ادموندز (كرد وترك وعرب) ترجمة جرجيس فتح الله ص 84 — 87.